شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلّامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الدَرْسِ (٦)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أما بعد؛

فإن من اليقينيات الشرعية أنه لا دين إلا بالتوحيد، ولا عز إلا بالتوحيد، ولا قبول للعمل إلا بالتوحيد، فالتوحيد أصل الدين، ومفتاح الخير، ومفتاح قبول الأعمال، وأعظم ما ينبغي أن يعتني به الإنسان هو التوحيد.

وقد منّ الله عَزَّ وَجَلَّ علينا فاجتمعنا في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لنشرح كتابًا في التوحيد، مُتبعين لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي دعا إِلَىٰ التوحيد، وبيّن التوحيد من أول لحظة بُعث فيها، إِلَىٰ أن مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نشرح كتابًا ماتعًا، نافعًا، فريدًا، عظيمًا، مفيدًا، ألا وهو كتاب **(تجريد التوحيد المفيد)** لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، المتوفى سنة ثمانمائة وخمس وأربعين من هجرة نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تقدم شرح بعض ما ورد في هٰذَا الكتاب، وعلمنا في المجلس الماضي أن مشركي قريش كانوا يقرون بأصول الربوبية؛ فكانوا يقرون أن الخالق هو الله، وأن الرزاق هو الله، وأن المدبر هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إلا أن هٰذَا لم يكفِ ليكونوا مسلمين ولتُعصم دماؤهم، بل كانوا مشركين بحكم الله عليهم، وحكم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، وكانوا أعداء لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاتلهم

وقاتلوه؛ بسبب أنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهية، مع أن الإقرار بالربوبية مستلزم يقينًا الإقرار لله بالألوهية.

فكما أنه لا رب سواه، فلا إله غيره، غير أن هؤلاء مع إقرارهم بالربوبية لم يقروا بالألوهية، بل كانوا يتعجبون من جعل الآلهة إلهًا واحدًا، ويسخرون من النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أنهم يوحدون الله في ألوهيته.

وسبب ذلك الخلل في توحيدهم بالربوبية، ومع أن القدر الذي أقروا فيه بالربوبية كافٍ لأن تقوم عليهم الحجة بتوحيد الألوهية، إلا أنهم لم يوحدوا الله في ألوهيته استكبارًا وعنادًا، فجحدوا بألسنتهم ما استيقنوه بقلوبهم، أو أن الَّذِي منعهم من هٰذَا إنما هو الهوى والميل إِلَىٰ دين الآباء والأجداد، والخوف من تعيير الناس لهم، فحال ذلك بينهم وبين فوزهم بتوحيد الألوهية، فكانوا مشركين أعداءً لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين.

ثُمَّ نواصل قراءة ما سطره الإمام المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونعلق عليه، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال العلامة أحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتابه (تجريد التوحيد المفيد): ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السَّمٰوات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله.

(الشرح)

وقلنا إن هذا شأن عموم الناس الإقرار بالربوبية إلا الشُّذَّاذ، ونبهنا إِلَىٰ أنه في الأزمنة المتأخرة كثُر المشركون في الربوبية من طائفتين:

الطائفة الْأُولَى: تدينوا تدينًا باطلاً، فتُشرك بالله في ألوهيته، وتجعل من يسمونهم الأولياء شركاء لله عَزَّ وَجَلَّ في الألوهية، فيدعونهم ويفزعون إليهم ويلجؤون إليهم عند الشدائد، بل والعياذ

بالله هم أشد كفرًا من كفار قريش، فإنهم عند الشدائد لا يخطر في بالهم إلا من يشركون به من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يكاد المركب أن يغرق أو تشب نار في بيت فلا تسمع منهم إلا **"يا فلان، يا فلان"**، لا يلجؤون إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومع هٰذَا الشرك الأكبر فإنهم يشركون هؤلاء الأولياء في الربوبية، فهم يعتقدون أن الأولياء شركاء لله في التدبير والرزق بل والخلق، بل يعتقدون أنه لا يتحرك متحرك في الكون ولا يسكن ساكن في الكون إلا بتدبير الأولياء، نعوذ بالله من هٰذَا الكفران العظيم.

الطائفة الثَّانية: هم الملحدون الَّذِينَ ينكرون وجود الله، وبالتالي ينكرون ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهؤلاء المشركون في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا ريب كانوا مُقرين بالربوبية كما تقدم بيانه في المجلس الماضي.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة.

(الشرح)

نعم، كانوا مع إقرارهم بربوبية الله يجحدون وينكرون إلهية الله وتوحيد الله في الألوهية، فكان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دعاهم إِلَىٰ أن يعبدوا الله وَإِلَىٰ أن يوحدوا الله قالوا عنه ساحر كذاب: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٤-٥].

ولجمعهم بين هذين الأمرين، أعني توحيد الربوبية والشرك في الألوهية، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ} أي: بربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، {إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} ما يؤمن أكثرهم بالربوبية إلا وهم مشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ في الألوهية، فإذا سُئلوا عن الربوبية وحّدوا، وإذا أُمروا بتوحيد الألوهية نفروا وأشركوا بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وهم يزعمون أنهم ما يعبدونهم إلا ليقربوهم إِلَىٰ الله زلفى بزعمهم، فكانوا يسوون بين الله عَزَّ وَجَلَّ وبين بعض المخلوقين في العبادة، ومنها كمال المحبة، وشركهم هٰذَا أبطل توحيدهم ذاك، فما نفعهم ذلك التوحيد شيئاً.

وَهٰذَا يجتث شُبَهَ المشركين المنتسبين إلى الإسلام، الَّذِينَ يدعون مع الله غيره، ويعبدون مع الله غيره، ويشركون بالله في العبادة، ولاسيما في عبادة الطلب من الدعاء والاستغاثة والاستعانة، بل ويقدمون غير الله على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هٰذِه العبادة.

فإن هؤلاء يقولون إن هؤلاء يعتقدون بوجود الله، وأن الله رب، وأن الله المدبر، فهم بهذا الصرف للعبادة لا يشركون بالله، وإنما بزعمهم يتقربون إلى الله، بل والعياذ بالله يسمون ما يفعلون توحيداً، وأن هٰذَا هو التوحيد.

وقد عرفنا شأن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة وهم رأس الموحدين، وعرفنا شأن المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقل لي بربك: هؤلاء الَّذِينَ يعبدون الأولياء ويدعون الأولياء مع إقرارهم بالربوبية عَلَىٰ ما عرفنا من شرك عندهم في الربوبية، هل يشبهون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؟ أم يشبهون المشركين في زمنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

والله إنهم لا يشبهون إلا المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هم أشد شركاً وأقبح شأناً من المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

روى ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هٰذِه الآية، قَالَ: من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون، أي مشركون في الألوهية.

وروى ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: تسألهم من خلقهم، ومن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره، أي فَهٰذَا شركهم، فشركهم إنما هو في العبادة في الألوهية.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كما قد حكىٰ الله تَعَالَىٰ عنهم في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(الشرح)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾، وَهٰذَا هو الشِّرْك، أن تجعل لله نداً وهو خلقك، ومن جعلهم أنداداً من دون الله أنهم يحبون أولئك الأنداد كحبهم الله، فهم يُسوون بين حبهم لله وحبهم للأنداد.

فلما وقعت منهم التسوية في هٰذِه المحبة الَّتِي تقتضي الخضوع والانقياد كانوا مشركين، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؛ لأن حب المؤمنين لله حب خالص، فهؤلاء أشركوا بالله عَزَّ وَجَلَّ في المحبة، حيث سووا غير الله بالله في المحبة المستلزمة للخضوع والانقياد والطاعة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما سووا غيره به في هٰذَا التوحيد.

(الشرح)

أي في توحيد الألوهية، وأصل توحيد الألوهية كمال المحبة المُستلزم للذل والخضوع والانقياد، هٰذَا أصل توحيد الألوهية، لما سووا غيره به في هٰذَا التوحيد – توحيد الألوهية – والمحبة، وكما المحبة قلنا إنه أصل توحيد الألوهية؛ كانوا مشركين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كانوا مشركين كما قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ **[الأنعام: ١]، أي يسوون غيره به.**

(الشرح)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، لا خالق للسماوات والأرض إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعل الظلمات والنور، وهم يعلمون هٰذَا ويدركون هٰذَا -أعني الَّذِينَ كفروا-، لكنهم بربهم يعدلون، أي يسوون غيره به في العبادة بأنواعها، فهم يسوون غير الله بالله، وهذه التسوية شرك، فكيف بمن يرفع غير الله فوق الله؟ نعوذ بالله من كل شرك.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

(الشرح)

أي هم مع إقرارهم بأن الله ربهم يُسوون بينه وبين خلقه المربوبين في الألوهية، هؤلاء الكفار يقرون بأنه لا رب إلا الله، فكل مخلوق مربوب لله، ومدام أنه مربوب لله فهو محتاج إلى الله، والمحتاج لا يمكن أن يكون إلهاً.

لكن هؤلاء لسوء حالهم وظلمات قلوبهم يُسوون بين الرب والمربوب في العبادة في الألوهية، وَهٰذَا غاية الظلم وأقبح الظلم، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، غاية الظلم وأقبح الظلم أن يُعطى المربوب حق الرب، وأن يُعبد المربوب من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد علّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده كيفية مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة.

(الشرح)

يعني أن أعظم ما علمه الله لعباده في كتابه وعَلَىٰ لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو التوحيد، وكيف يسلم إنسان من الشرك ليكون موحداً بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكيف ينفعه توحيد الربوبية.

كل هٰذَا ورد في القرآن مُفصلاً مُبيناً، وورد في سنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفصلاً مبيناً، كيف تكون موحداً، كيف تسلم من الشرك، كيف ينفعك توحيد الربوبية، كل هٰذَا بُين بياناً واضحاً بيناً في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

فمن وحد الله في ألوهيته نفعه توحيد الله في ربوبيته وسلم من الشِّرْك، أما من أشرك في الربوبية وجحد الربوبية فمُحال أن يوحد في الألوهية؛ لأنه إِذَا ما أقر بالله كيف يوحده!، وأما من أقر بالربوبية وأشرك في الألوهية فهو مُشرك شركاً أكبر، هو عدو لله، عدو لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك واضح بين في كتاب الله وفي سنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنه تَعَالَىٰ حقيق بإفراده وليًا وحكمًا وربًا.

(الشرح)

ربنا حقه أن نُفرده بكونه ولياً، والولي هو المعبود المحبوب الناصر الَّذِي يُستنصر به، ويُستعان به عَلَىٰ النوائب والشدائد والحوادث، ويُتقرب إليه.

هذا الولي، الولي هنا هو المعبود المحبوب الناصر الذي يُستنصر به، ويُستعان به عَلَىٰ الشدائد والحوادث، ويُتقرب إليه، ومن جعل الله ولياً كان ولياً، من جعل الله ولياً فجعل الله معبوده محبوبة الَّذِي يُستنصر به ولا يُستنصر بغيره، ويدعوه ولا يدعو غيره، ويتقرب إليه، يصير ولياً لله، الولي من الخلق من جعل الله ولياً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا يمكن أن يكون الولي من الخلق من جعل الله ولياً أن يكون الولي من الخلق متخذاً غير الله ولياً، مستحيل، محال، فإذا كان المخلوق يتخذ غير الله ولياً فوالله لم يكون لله ولياً، بل هٰذَا من العداء لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فليس كل من سماه الناس ولياً من الخلق يكون ولياً، أول ما تنظر إِلَىٰ هٰذَا الذي يُسمى بالولي انظر إِلَىٰ توحيده، انظر هل اتخذ الله ولياً ووحده في ذلك واتقى الله؟ فإن اتخذ الله ولياً واتقى الله فنعم هو ولي لله، وإذا كان ولياً لله فوالله لن يرضى أن يُعبد من دون الله، هٰذَا الميزان لمعرفة أولياء الرحمن.

وقد تقدم معنا في عدد من الدروس أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن من عباد الله أولياء لله، وأن هؤلاء الأولياء لهم كرامات تُقربهم إِلَىٰ الله ولا يُتقرب إليهم بها، وإنما القُربى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الحكم، وإليه الحُكم قدراً وشرعاً، والخلق تحت قدر الله، تحت حكم الله القدري لا يخرجون عنه، وأما الحكم الشرعي فالله هو الذي يأمر وينهى، وهو الذي يُطاع، ولا يُطاع إلا الله، ومن أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بطاعته طاعةً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الرب، ومن أقر بربوبية الله استلزم ذلك يقيناً أن يُقر بألوهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إلا أن يمنعه الكبر أو الهوى من أمانه من هٰذَا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

(الشرح)

أي قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين المنكرين عليك إفرادك ربك بالألوهية ودعوتك إِلَىٰ ذلك: أأتخذ غير الله من خلق الله ولياً أعبده وأحبه وأستنصره وأطلبه وألوذ به عند الشدائد وأطيعه وأتقرب إليه خاضعاً له، ذليلاً له، واضعاً حاجتي عنده، مع أن المخلوق مهما علا شأنه لا حظ له في الربوبية؟ أتخذه ولياً مع كونه لا حظ له في الربوبية!، مع كون أن الخالق الرازق المدبر هو الله!، أتخذ ولياً من دونه!

إن هذَا لمن أبطل الباطل، الله فطر السماوات والأرض فأوجدها عَلَىٰ غير مثال سابق، وخلق من في السماوات ومن في الأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المُستحق وحده أن يكون ولياً، أأتخذ غير الله ولياً والله هو الرب وكل مخلوق مربوب!، إن هذَا لا يستقيم أبداً.

وفي هذَا يا إخوة إلزام لهم وتقريع لهم: كيف تتخذون غير الله ولياً وأنتم تقرون أن الَّذِي خلق السماوات والأرض هو الله، وأن المدبر هو الله، وأن الرازق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

(المتن)

وَقَالَ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

(الشرح)

أي قل يا رسولنا: أفغير الله أطلب حكماً أطيعه وأخضع لأوامره ونواهيه، مُحباً له متذللاً له وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الْرَّبّ؟ إن هذَا لا يستقيم أبداً.

(المتن)

وَقَالَ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

(الشرح)

قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين: أغير الله أطلب رباً!، لأن الرب هو الذي يُعبد، أأطلب رباً غير الله وهو رب كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

إذًا من عبد غير الله، من دعا غير الله، من استغاث بغير الله، من استعان بغير الله في غير ما أذن الله به، فكأنه قد اتخذه رباً.

فكونكم يا معاشر المشركين تُقرون بالربوبية وتشركون بالألوهية هٰذَا تدافع وتناقض، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، كيف يستقيم أن أتخذ وأبتغي وأطلب رباً غير الله، وأنا أعلم وأتيقن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رب كل شيء!

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا ولي ولا حكم.

(الشرح)

فهنا يا إخوة إلزام بتوحيد الألوهية وتقرير لذلك بتوحيد الربوبية، ففي هٰذَا أن الإنسان إِذَا كان صادقاً في توحيد الربوبية لَا بُدَّ من أن يكون موحداً لله في الألوهية، وبه يسلم من الشِّرْك.

أما إن أقر بالربوبية واتخذ غير الله ولياً، وطلب غير الله رباً، وطلب غير الله حكماً، فإنه ليس من الموحدين، وليس من المسلمين، بل هو من المشركين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَالَّذِي يشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بلسانه وأن محمداً رَسُولُ اللَّهِ، فَهٰذَا هو حال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي باين به المشركين، فإما أن تكون عَلَىٰ حاله فتكون متبعاً موحداً، وإما أن تكون عَلَىٰ حال المشركين فتكون مشركاً بالله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا ولي ولا حكمًا ولا رب إلا الله.

(الشرح)

أي أن التوحيد الذي يكون به الإسلام والنجاح والفلاح هو إفراد الله بالألوهية، فلا ولي يُعبد ويُستنصر به إلا الله، ولا حكم يأمر وينهى ويطاع ويفصل ويقضي بين الخلائق إلا الله، ولا رب إلا الله، وما دام أن الرب هو الله فلا إله سواه.

هٰذَا التوحيد الذي جاء به المرسلون جميعاً، وَالَّذِي يسلم به الإنسان من أن يكون مشركاً.

(المتن)

قَالَ: الَّذِي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد في ربوبيته.

(الشرح)

فمن سوى بين الله وبين الرب سُبْحَانَهُ وبين خلقه المربوبين في العبادة، وصرف شيئاً من العبادة إلى أحد من خلق الله، فهو المشرك عدو الله عَزَّ وَجَلَّ وعدو رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ينفعه لو قَالَ: لا رب إلا الله، فالمشركون ما نفعهم قولهم: لا رب إلا الله، لكونهم لم يقولوا: لا إله إلا الله، ولم يوحدوا الله في ألوهيته.

فهؤلاء الَّذِينَ ينتسبون إِلَىٰ الإسلام، ويُقرون لله بالربوبية، لكنهم يصرفون أنواعاً من العبادات لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، لا ينفعهم ذلك ولا يصيرهم مسلمين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فتوحيد الربوبية هو الَّذِي اجتمعت فيه الخلائق، مؤمنها وكافرها.

(الشرح)

الناس جميعهم إلا من شذ، اجتمعوا في صفة الربوبية إقرارًا منهم بهذا، وأنه لا يخرج عن ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء، وقد تقدم تقرير هٰذَا، وذكرنا قبل قليل شيئًا من هٰذَا.

فصفة الربوبية جامعة للناس يجتمعون فيها، الغالب عَلَىٰ الناس أنهم يقرون بربوبية الله، ما أحد يزعم أن الذي خلق السماوات غير الله، أو أن الذي خلق الأرض غير الله، أو أن الَّذِي خلقه غير الله، إلا من شذ أو عظم انتكاسه في الشر كما ذكرنا قبل قليل.

(المتن)

قَالَ: وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين.

(الشرح)

افترق الناس في صفة الإلهية وإفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بالألوهية، فأفرده السعداء وأقروا بأنه لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وأنه لا يستحق العبادة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يُصرف شيء من العبادة إِلَىٰ غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكانوا موحدين من أهل الجَنَّة، وأبى ذلك الأشقياء، وصرفوا العبادة لغير الله، فكانوا

مشركين أعداءً لله وأعداءً لرسله، فالإلهية هي التي فرقتهم إِلَىٰ فريقين، كما أن الربوبية هي الَّتِي جمعتهم.

الَّذِي فرق الناس إلى شقي وسعيد هو صفة الإلهية هو إفراد الله بالألوهية، فمن أفرد الله بالألوهية فهو السعيد، ومن أشرك مع الله غيره في الألوهية فهو الشقي، أما الربوبية فالغالب أنها جمعت الناس.

مَاذَا يفيدنا هٰذَا؟ يفيدنا أن القرآن والسنة مملوءان بأن الناس ينقسمون إِلَىٰ فريقين: سعداء موحدين، وأشقياء مشركين.

هل كان هٰذَا بسبب الربوبية؟ لا، وإنما كان بسبب الألوهية، وهذا يا إخوة كله من أجل سد الشبهة العظمى الَّتِي جعلت جماعات من المنتسبين إِلَىٰ الإسلام يُشركون بالله، ألا وهي اغترارهم بإقرارهم بالربوبية، فظنوا أن هٰذَا يكفيهم، ولاذوا بغير الله في الألوهية فكانوا مشركين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا كانت كلمة الإسلام "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، فلو قَالَ: "لا رب إلا الله"، لما أجزأه عند المحققين.

(الشرح)

كلمة الإسلام الَّتِي يُدخل بها في الإسلام ولا يكون الإنسان مسلمًا إلا إذا قالها إن كان قادرًا عَلَىٰ القول هي **"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"**، فلو قَالَ **"لا رازق إلا الله"** ما حكمنا بإسلامه، لو قال **"لا خالق إلا الله"** ما حكمنا بإسلامه، نقول: قَالَ شيئًا حسنًا، لكن لا نحكم بإسلامه حَتَّىٰ يقول **"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"**.

وبهذا أمر الأنبياء عليهم السلام جميعًا، بدءًا من نوح عليه السلام: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[هود: ٢]، إِلَىٰ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾[ص: ٦٥]، وكل الرسل يقولون لأقوامهم: اعبدوا الله، فَهٰذِه كلمة الإسلام.

وكما عرفنا يا إخوة مرارًا الإسلام دين الأنبياء جميعًا، الإسلام بمعنى التوحيد، أما الإسلام توحيدٌ وشريعة فهو ما جاء به مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإسلام بمعنى التوحيد دين الأنبياء جميعًا

ما اختلفوا فيه، وكلهم يقولون: اعبدوا الله، وأما الإسلام مجموعًا دينًا وشريعة فهو ما جاء به مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا لو قال إنسان "لا رب إلا الله" ما صار موحدًا التوحيد الَّذِي أمر به الأنبياء، وما دخل في الإسلام، وما صارت له عصمة الإسلام، وكيف يُجزئ ذلك مع أن المشركين كانوا يقولون **"لا رب إلا الله"** ومع ذلك ما حكم الله بإسلامهم ولا حكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامهم، بل كان الحكم أنهم مشركون، فهذا يدلك عَلَىٰ أن الموحد هو الَّذِي وحد في الألوهية مع توحيد الربوبية، وَهٰذَا الذي يُصبح مسلمًا ويدخل في الإسلام.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد، ولهذا كان أصل "الله" الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلاّ من شذّ منهم.

(الشرح)

كما تقدم معنا أن سيبويه ذهب إِلَىٰ أن أصل **"الله" "لاه"**، فدخلت عليه الألف واللام للتعظيم، أي **"الإله"**، فصار **"الله"** كما سأبين بعد قليل، وكذلك عند الخليل والكسائي والفراء أصل **"الله" "الإله"**.

سيبويه فصَّل وقَالَ: أصل **"الله" "لاه"**، فدخلت عليه الألف واللام فصار **"الإله"**، فكان أصل **"الله" "الإله"**.

قَالَ الطبري: **"الله"** أصله **"الإله"**، أُسقطت الهمزة الَّتِي هي فاء الاسم، يعني الَّتِي هي بعد اللام الأولى، فالتقت اللام الَّتِي هي عين الاسم واللام الزائدة الَّتِي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة، فأُدغمت في الأخرى، فصارتا لامًا واحدة مشددة.

الأصل **"الإله"**، جاءت **"أل"** هٰذِه الزائدة فدخلت عَلَىٰ **"الإله"**، ثُمَّ أُسقطت الهمزة الَّتِي هي بعد اللام فالتقت لامان، اللام الَّتِي هي لام **"أل"**، واللام الَّتِي بعد الهمز، فأُدغمت اللامان فصارت لامًا مشددة، فصار **"الله"**.

إذًا أصله من الألوهية، الَّتِي هي العبودية والمحبة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المُستحق للألوهية، الله هو الإله المعبود المحبوب المُستحق للعبودية.

طبعًا يا إخوة إِذَا نظرنا إِلَىٰ الخلل عند الذين ينتسبون إِلَىٰ الإسلام ويدعون غير الله ويعبدون غير الله وجدنا أنه يعود إلى هٰذَا الأمر، وأنهم يظنون أن معنى **"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" "لا رب إلا الله"**، ولذلك يحرص أهل التوحيد عَلَىٰ تقرير هٰذِه القضية: قضية أن الربوبية لا تنفع وحدها، شيء حسن، لكنه لا ينفع ليصير الإنسان موحدًا مسلمًا، بل لَا بُدَّ من أن يُجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

ولو فهم الناس هٰذَا لاندفعت هٰذِه الشبهة، وصار الناس يعبدون الله وحده، فلا يدعون إلا الله، ولا يُنذرون إلا لله، ولا يتقربون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة ونُكمل إن شاء الله الدرس القادم في الأسبوع القادم.

معاشر الإخوة؛ إن أعظم ما ينبغي أن نتعلمه هو التوحيد، وأعظم ما ينبغي أن نُعلمه هو التوحيد؛ لأن من وحد الله أُنقذ من النَّار، حَتَّىٰ لو كان عاصيًا قد يدخل النَّار لكنه لا يُخلد فيها.

أما من مات مشركًا بالله الشرك الأكبر، فإنه لو كان من أكثر الناس أعمالًا صالحة فإنه يكون خالدًا مخلدًا في النَّار، أعني أعمالًا صالحة من جهة ظاهرها، وإلا فلا عمل صالح مع الشِّرْك، لكن لو كان في الظاهر من أكثر المصلين، والله لو أنه ينتصب لله عَزَّ وَجَلَّ يُصلي حَتَّىٰ تتفطر قدماه، وَحَتَّىٰ تتشقق جبهته، لكنه يدعو غير الله ويشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ ما ينفعه ذلك شيئًا.

لو أنه يُنفق ماله كله لكنه يشرك بالله ويدعو غير الله ما ينفعه ذلك شيئًا.

فالواجب علينا أيها الإخوة أن نحرص ما استطعنا وبمقدار علمنا عَلَىٰ إنقاذ الناس مما يُخلد به الإنسان في النار لو مات عليه، حرصًا شديدًا.

ومن الحرص يا إخوة أن ننشر مقاطع العلماء الذين يقررون التوحيد، إن مما يُحزن القلب أن نرى في وسائل التواصل اليوم جلدًا من أهل الشرك والانحراف العقدي والانحراف الفكري في نشر ما يعتقدون، ونجد كسلاً من أهل الحق، من أهل التوحيد، من أهل العقيدة السلفية، من أهل المنهج السلفي، في نشر المقاطع الَّتِي تُعلم الناس التوحيد، وتعلم الناس العقيدة السلفية، وتعلم الناس المنهج السلفي، وَهٰذَا لا يكلفنا شيئًا.

أمران أنصح بهما طلاب العلم:

اَلْأَوَّلُ: نشر مقاطع العلماء السلفيين أهل السُّنَّة، أن تُقطع إِلَىٰ ثلاث دقائق، إِلَىٰ دقيقتين، إِلَىٰ أربع دقائق، وتُنشر بقوة، فهذا والله اليوم أصبح من أعظم ما يُدعى به إِلَىٰ الله، أكثر الناس اليوم يدخلون عَلَىٰ هٰذِه الوسائل.

والأمر الْثَّانِي: إِذَا رأيت مقطعًا لعالم فيه الدعوة إِلَىٰ التوحيد، فيه الدعوة إِلَىٰ العقيدة السلفية، فيه الدعوة إلى السنة، فيه الدعوة إلى المنهج السلفي، فقوِّ هذا المقطع، هناك وسائل موجودة في هذه الوسائل تقوي هذا المقطع حَتَّىٰ يُقترح للناس ويظهر لهم، هٰذَا والله من الأهمية بمكان في زماننا هذا.

لا تتركوا الناس يا إخوة لهؤلاء قطاع الطرق الَّذِينَ يُزينون لهم الشرك، يزينون لهم تأويل الأسماء والصفات، يزينون لهم البدع، يزينون لهم الأفكار الحزبية الخارجية العفنة النتنة، ويُقبحون التوحيد، ويقبحون العقيدة السلفية، ويقبحون إثبات الصفات، ويقبحون السنة، ويقبحون المنهج السلفي.

لا تتركوا الناس لهؤلاء، الناس إِذَا لم يُبيَّن لهم قد ينخدعون، فَلَا بُدَّ يا إخوة من الاجتهاد، وأن ينصح بعضنا بعضًا بهذه القضية، فهذه والله من أعظم ما يُنصر به دين الله اليوم، من أعظم ما يُنصر به دين الله اليوم هٰذِه الطريقة.

اجتهدوا في هٰذَا، والله ما تدرون ربما أن مقطعًا تنشره يكون السبب في أن تسلم من النار وتدخل الجنة بلا عذاب، قد تنشر مقطعًا ثُمَّ ينشره غيرك، وقد يوحد الله به أقوامًا فيأتي هٰذَا في ميزان حسناتك.

أقول لكم شيئًا من باب التحفيز: مرة كنت أمشي هنا في غير دروسي، وأنا في غير دروسي لا أسمح لأحد بأن يمشي معي أنا عبد من عباد الله، لا أريد أن أظهر أمام الناس، لولا العلم ونشر العلم لما أحببت أن يعرفني أحد.

فكنت أمشي فإذا بشاب يدركني وَقَالَ: الشيخ سليمان؟ قلت: نعم، قَالَ: أحببت أن أسلم عليك وأشكرك، قلت: جزاك الله خيرًا، قَالَ: والله يا شيخ، أنا وأسرتي، أبي وأمي وأخواتي وإخواني تستطيع أن تقول: ما كنا نعرف من الإسلام أو ما عندنا من الإسلام إلا الاسم، لا صلاة، لا توحيد، لا شيء، قَالَ: فأرسل لي أحد الشباب مقطعًا لك، هٰذَا المقطع في الظاهر أنت مبتسم، يقول: نحن ما نسمع للمشايخ، نقول هؤلاء متشددون، هؤلاء معقدون، لكن قال: سُبْحَانَ اللَّهِ لما رأينا الصورة الَّتِي على

الفيديو وأنت مبتسم قلنا: خل نسمع لهذا الشيخ المبتسم ماذا يقول، يقول: فسمعنا المقطع، قَالَ: فشاء الله أن يغير حياتنا والله يا شيخ، هكذا يقول لي، لا أقول لك إن بيتنا صار مسلمًا، والله إن بيتنا صار سلفيًا، أبي وأمي وإخواني وأخواتي وأنا.

انظر هٰذَا الأخ الذي أرسل هذا المقطع كم حصل من الأجر؟ لو لم يحصل إلا هذه القضية أن هٰذِه الأسرة دخلت الإسلام بسبب إرساله المقطع، هو ما قال شيئًا، فقط أرسل المقطع.

فيا إخوة أطرقوا هذا الباطل، أطرقوه بعقل وحكمة وعلم، واجتهدوا حسب استطاعتكم، لعل الله أن يجعلنا من أسباب كسر الباطل ونشر الحق، أسأل الله أن يتقبل مني ومنكم.

وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.